الفصل السابع

المياه الساكنة

في مسار تحليق الغراب، تقع طبرية والمياه المتلألئة في بحيرة الجليل، على مسافة خمسة عشر ميلاً إلىٰ الشرق من ينابيع صفّورية وآبارها. وعلى مدى المسافة بينهما تخترقُ الطريقُ المتعرّجةُ الواديَ الجافَّ الذي تحوطُهُ هضابُ الناصرة من الجنوب، وجبل طوران من الشمال الشرقي. تمضي الطريقُ المتلظّيةُ تحت أشعة الشمس عبر سهل لوبيا وفوق مرتَفَعٍ من الأرض ذي شعبتين معروفتين باسم «قرنَي حطّين». ولا ماءَ على جوانب تلك الطريق غير مجاري السيول الشتوية، وبعض البِرَك التي تكفي بالكاد حاجات السكّان القليلين في قريتي لوبيا ومسكنة. بيد أنّ هناك مشكلةً أُخرى غير نُدرة المياه؛ تتصلُ بالقدرة على قَطْع تلك الفيفاء بسرعة. في السنوات السابقة، ما كانت إغاراتُ المسيحيين الناجحة قادرةً على قَطْع أكثرمن ستة إلىٰ سبعة أميالٍ في اليوم إذا كان عليها أن تُواجِهَ تعرُّضات العدوّ في الوقت نفسه. وفي الثالث من يوليو، عندما كانت درجاتُ الحرارة هناك لا تكادُ تُطاق، بدأ الجيش الصليبي مسيرتَه باتجاه طبرية. كان الجيشُ المذكور مقسَّماً إلىٰ ثلاث فِرَق. قاد فرقة الطليعة الفارس القديم العارف بتلك الأرض ريموند الطرابلسي؛ وكانت مكوَّنةً من رجالاته، ومن فرسان الإسبتارية. أما الملك (غي) فقاد فرقة القلب أَو

الوسط المكوَّنة من فرسانه، والتي كانت تحمل الصليب الأعظم. أمّا باليان أوف إبلين، سليل أهمّ أسرةٍ صليبيةٍ في المملكة اللاتينية؛ فقد قاد فرقةَ الساقة أَو المؤخّرة؛ والتي كانت مكوَّنةً من فرسان الهيكل. عند الظُّهر كان الجيش قد قطع بدون عوائق ستة أميال اجتاز خلالها منحَدَراً حادّاً، وبلغ الجهة الجنوبية من جبل طوران. كان في قرية طوران نبعٌ صغيرٌ جارٍ، وكما جاء في تقريرٍ لصلاح الدِّين فيما بعد فإنّ صقور رجّالة العدوّ، ونسورَ فرسانه، كانوا يحومون حول الماء، مهتاجين. وكان على الملك غي هنا أن يتخذ قراراً حسّاساً: هل يكونُ عليه أن يمضي في تلك الرمضاء القائظة وسط النهار، أَو يأمر بالنزول عند النبع لقضاء الليل؟ ما كان هناك شكٌّ في معرفة العدوّ بحركاتهم، وحضور عساكره من حول الجيش المسيحي؛ سواءٌ في التلال لجهة الشمال أَو في الجنوب، ثم في بقية المسافة التي عليهم قطْعُها. فالأميال الستة الباقية ما كان قَطْعُها سهلاً. ومع أنّ الوقت كان ما يزال مبكّراً؛ فما كان يمكنُ تجاهُلُ الموقف اليائس للسيدة المحصورة في قلعة طبرية، كما أنّ صقور الجيش كانوا يستحثّون الملك على السير إِلىٰ الأمام. وربما كان الحرّ، والاضطراب، وراء تسرُّع غي في اتخاذ قراره. أمّا صلاح الدِّين فلم يكن لديه شكٌّ، حسبما يقول القرآن، أنّ الشيطان هو الذي أَضلّ الملكَ في هذا الظرف الدقيق، ودفعه إِلىٰ أن يقومَ بما هو خلاف الحكمة. «وهكذا فقد سار مسرعاً باتجاه طبرية، مدفوعاً بالكبرياء والعجرفة، للأخذ بثأره». كانت بحيرة طبرية ما تزالُ على مبعدة تسعة أميالٍ إِلىٰ الأمام، واستعجل الجيش في مغادرة القرية، طاوياً نبعَ طوران تحت الغبار الذي أثارته مؤخّرة الجيش الزاحف. وما كاد الجيش يغادر الواحة الصغيرة، حتى كانت خيّالةُ صلاح الدِّين السريعة تتبعُهُ من الوراء، قاطعةً عليه إمكانيةَ التراجع، وحائلةً بينه وبين الماء في الوقت نفسه. وبدلاً من أن يعودَ الجيشُ الصليبي أدراجَهُ ليتجنَّب التطويق، مضى قُدُماً وبسرعةٍ للوقوع في الشَرَك (الذي نصبه له صلاح الدِّين). وسط القيظ والتطويق، كان الكونت ريموند الطرابلسي هو الأكثر إحساساً بخطورة الموقف. فقد طلب من الملك التقدّم

وتجاوُز تلك البقاع أَو سيكون هناك احتمالُ الاضطرار للنزول في بقعةٍ لا ماءَ فيها. وأجاب الملك منزعجاً: سوف نجتازُ هذه المسافة أخيراً! فقد كان هو أيضاً يشعُرُ بخطورة الموقف الذي هم فيه؛ فهم لا يستطيعون الإسراع (بسبب تعرّضات عسكر صلاح الدِّين) ولذلك يبدو كأنما هم في نزهة(بسبب بطء مسيرتهم)! وبعد الحصول على موافقة الملك، حاول ريموند التسلُّل نحو الشمال باتجاه قرية حطين، بسبب غناها بالماء. لكنه ألفى الطريق مسدودةً بالعسكر الصلاحي، ولذلك فقد وجد نفسه واقفاً في مواجهة ذلك المنحدَر العالي. وبعد غروب شمس ذلك اليوم، تلفّت ريموند من حوله، فلاحظ مرعوباً، أنّ عسكر الملك خيّم في قرية مسكنة المقفرة وركّز راياته هناك، بدلاً من البقاء في مواقعه في قلب الجيش من أجل الدعم والمساندة. صار الجيش في الليل مُحاصَراً من كلّ الجهات، وكانت تلك القوات المطوَّقة بدون ماء، وبدون أملٍ في المدد والإنجاد. كانت حطّين ذات القرنين الشاهقين تقع على مبعدة ميل، وقد غطّى عسكرُ صلاح الدِّين كلَّ تلك الهضاب. ولا شكّ أنّ عبثية الموقف ما كانت خافيةً على كونت طرابلس. فأتباع المسيح صاروا الآن منخفضي المعنويات، ضعفاء، يتأوّهون، وجبلُ القداسة ذاك تحوّل إِلىٰ قرونٍ للشيطان: «عجباً، سيدي الرب، لقد انتهت المعركة»؛ قالها ريموند يائساً: «لقد خُدعنا حتى الموت، والمملكةُ انتهت!». وبدأ ليلٌ يشبه الجحيم في قتامته. فقد اقتربت القوات الإسلامية من المعسكر المسيحي؛ إِلىٰ حدّ أنّه، كما قيل لاحقاً، لو انفلتت قطةٌ من المعسكر، لأَمسكَ بها المسلمون. وأمر صلاح الدِّين بإعطاء مزيدٍ من السهام لرُماة الجيش، وطلب منهم أن يقصدوا برماياتهم جياد الصليبيين؛ ذلك أنّ الفارس بدون جواده لا يستطيع الحركة. كما أنّه يتحولُ بسلاحه الثقيل إِلىٰ كائنٍ ضائعٍ وسط تلك البرية القائظة الجرداء. ثم إنّ السلطان أمر بوضع نار في العشب اليابس فيما بين العسكرين، فامتلأت تلك الأصقاعُ بالدخان الهائل نتيجة الاشتعال السريع في السهل الجافّ. وقال صلاح الدِّين إنّ النار الناجمة عن احتراق الأعشاب هدفُها تذكيرُ الغُزاة بالجحيم

الذي ينتظرهم في العالَم الآخَر. وعن تلك الليلة كتب مؤرّخٌ مسيحيٌّ فيما بعد: «لقد ابتلانا الله بطعام الفُرقة لنتسوَّغَه، وسقانا ماءَ الأسى لنَغَصَّ به». وكانت عبارتُه تلك إشارةً إلىٰ ما ورد في سِفْر أشعيا [30: 20]، الذي يُتابع: «.. ولا يتوارى معلِّمك من بعدُ، بل تكونُ عيناكَ تريانِ معلِّمك». ومع أشعة الضوء الأُولى، وعلى الرغم من الدخان الكثيف الذي يسدُّ الأجواء؛ فقد كان بوسع المسيحيين أن يسمعوا صوت معلِّميهم بشكلٍ جيّد. فبعد ليلٍ بدون ماء، استيقظ الجنود ضعفاءَ ومنخفضي المعنويات. وفي هذا الموقف المرتبك فارق أربعةٌ من الفرسان من فرقة ريموند صفوف الصليبيين، ولجأوا مباشرةً، إلىٰ صلاح الدِّين؛ الذي كان قد حرَّك فِرَقَهُ خلال الليل، واعتلى مع حرسِهِ قمم التِلال، يراقب مشهد الجيش الصليبي من موقعٍ مُشرفٍ وكاشف. وسارع الضباط إلىٰ السلطان قائلين: «سيدي! ماذا تنتظرُ؟ هاجِمْهُم! فإنَّهم هالكون». لكنّ صلاح الدِّين أراد انتظار ارتفاع الشمس في الشرق بحيث تكون في وجوه الصليبيين عندما يحاولون الكفاح من أجل بلوغ البحيرة، كما أنَّه كان ينتظر ارتفاع الحرارة، وهبوب الريح. وفي سهل لوبيا جُمعت أكوامٌ من الأعشاب الجافّة استعداداً للصباح. وعند الظهر كانت تلك الأكوام تلتهب لظىً ودُخاناً يسدُّ الأُفُقَ، ويتجه بسرعةٍ نحو معسكر العدو الصليبي، الذي صار محاصَراً الآن في الأرض الفضاء بين تلة الأشبال، وتلة نِمرين[1]، أمّا قرنا حطّين فينتصبان أمام الجيش مباشرةً.

في بداية الوقعة، تجمعت الرجّالة الصليبية على شكل طابورٍ في المقدّمة، واندفعت باتجاه القرن الشمالي. ومن هذا الموقع المرتفع نظروا إلىٰ المياه الزرقاء المتلألئة في بحيرة الجليل. وبقدر ما كانت تلك المياهُ جذّابةً وشائقة، بقدر ما كانت ممتنعة. فقد كانت تحولُ بينهم وبين المياه؛ الأمواج

(1) يذكر المؤلف هنا أنّ الأشبال Levi نسبةً إلى صغار الأسود (الأشبال)، ونمرين نسبةً إلى النمور؛ وبذلك سُمّي الموطنان (المترجم).

المتلاطمة للجيش المسلم الضخم. وقد رُدَّت تلك الاندفاعة إلىٰ الأمام إلىٰ فصل المُشاة عن الفرسان خلفَهُم. وعندما رأى الملك تلك الثغرة المفتوحة في صفوف الخيَّالة، أمر الرجّالة بالعودة لحماية الصليب الأعظم. بيد أنَّهم رفضوا ذلك وقالوا: ألا ترى أننا لا نستطيع التراجع؟ فنحن نموتُ عطشاً! لا نستطيع القتال! وفي ذلك الوقت، وكما هو معروفٌ عن تكتيكات جيوش المسلمين؛ فإنّ فرسانَهم بدأوا بالضرب في مؤخّرة فرسان الهيكل. وأجاب الهيكليون على ذلك بعدة هجماتٍ مضادّةٍ، بيد أنّ المؤرخ المسلمَ يعلقُ في تقريرٍ عن المعركة بأنّ هجماتِهم كانت عبثاً، **لأن أسودَهم كانت مَنَاجذ!** وهكذا فقد دُفع الفرسان من الساقة إلىٰ القلب. ولأسبابٍ غير مفهومة أمر الملك بنصب الخيام في مواجهة المسلمين على شكل سدٍ لمنع تقدمهم، كأنما تستطيعُ الأقمشةُ والجلودُ والحبالُ أن تقاومَ السهامَ والرماح. ومع اشتداد الهجمات من كل جانبٍ فإنّ الجنود المسيحيين المحاصَرين تجمعوا من حول الصليب الأعظم، آملين أن تحدث معجزةٌ فيظهر القديس جيمس نفسه بازغاً من الغمام، ويعمد إلىٰ قتل المسلمين بعشرات الألوف كما سبق أن فعل في عجيبة كلافيجو Clavijo بإسبانيا قبل ثلاثمائة سنة. لكنْ لم تكن في السماء غمامةٌ واحدة، ويبدو أنّ معجزة الخلاص لن تحدث. ولذلك فقد بدأت الصفوف تتشرذم وتلوذُ بالفرار.

سارعت كتيبةٌ قويةٌ من فرسان صلاح الدِّين إلىٰ شقّ فرقة المقدمة التي يقودها ريموند إلىٰ نصفين، فاصلةً أيضاً بينها وبين فرقة الملك. وعندما رأى الملك ذلك طلب من ريموند أن يهاجم مقدّمة جيش صلاح الدِّين. بيد أنّ زمن الفروسية كان قد ولّى. إذ عندما اقتربت فرقة ريموند من فرسان مقدمة صلاح الدِّين، انفرجت صفوف تلك المقدمة لإدخال العدو في الشَرَك، كما حدث من قبل عند عيون الأُقحُوانة، ثم أطبق الجناحان المنفرجان عليه. وبدأت المذبحة. وصرخ ريموند في فرسانه: «من استطاع منكم النجاةَ فلينجُ؛ فإنّ المعركة قد حُسمت! بل إننا فقدْنا الفرصةَ في الهرب». وربما كان الرجل

يتحدَّث إلىٰ نفسه. ومن جهةٍ أخرى؛ فكأنما كان العرب يعرفون تماماً ما يفعلونه؛ إذ فسحوا لريموند المجال لكي يستطيع النجاةَ بنفسه عبر ممرٍ ضيّقٍ بين الفِرَق المتزاحمة. وقد همز الرجل فرسَهُ، ومضى هابطاً باتجاه وادي حِمّان، ثم باتجاه قلعة صفد الآمنة آنذاك. أَمَا وقد انصرف القادة؛ فإنّ الجنود المسلمين تابعوا عمليات ذبح الجنود المحاصَرين. وعندما سُئل صلاح الدِّين فيما بعد عن عِلّة سماحِهِ لريموند بالفرار والنجاة، أجاب بغموضٍ قائلاً: عليه اللعنة، ثم قرأ من القرآن: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [سورة الأنفال: 48]. أما بقيةُ الأعمال العسكرية، قد رآها عيون السلطان في قالبٍ شعري. فسنابك خيله صنعت سماءً من الغبار كانت نجومها لمعات النصال. أما عيون رماح المسلمين فقد اخترقت القلوب الميتة، وأكبادَ الكفّار الذين تعذّبوا بنيران العطش. أما أنهار السيوف فقد صبّت في البحر؛ في حين شرب الكفّارُ من كأس القَدَر.

ورأى مؤرخ الصليبيين الأمر على غير هذا النحو: «ماذا أستطيع أن أقول؟ إنّ الملائم أكثر هنا أن أبكي وأنوح بدلاً من قول أي شيء. يا للعجب! هل يكون عليّ أن أتلفّظ من بين شفتيّ غير الطاهرتين بما أصاب الأعواد الثمينة لصليب السيّد، مخلِّصنا، حين اغتصبته الأيدي الملعونة؟ تعساً لي ولأيامي، التي كان مقدَّراً عليَّ فيها أن أرى أموراً مثل تلك التي حدثت لنا». لقد حقّق جند الله نصراً كاسحاً على العدو المسيحي، في يوم عيد القديس مارتن كلاديوس. وفي الساعة الأخيرة من المعركة، انكمشت القوات المسيحية في ساحة المعركة حتى لم يعد هناك من المعالم غير خيمة الملك الحمراء المنصوبة على قرن حطّين الجنوبي. وقُتل حارسُ الذخيرة المقدسة، وأُخذ الصليب. وعندما انهارت خيمةُ الملك انتهت المعركة، وأُسر الملك غي وشاتيون ورؤساء

فرسان الهيكل والإسبتارية. أمّا صلاح الدِّين فقد اعتبر ذلك اليوم «يومَ رحمةٍ وبركة (للمسلمين) حيث صاحب الذئب النعجة، كما صاحَبَ الموتُ الأَسْر (بالنسبة للأعداء)».

II

كأس ماء الورد

عندما كانت الشمس تغطس في بحيرة الجليل، كان الملك غي وشاتيون يُجلبان إلىٰ حضرة السلطان في خيمته المنصوبة على مقربةٍ من الشاطىء. كان السلطان يجلس متربعاً على ديوانٍ مرتفع مغطًّى بالسجاد، محاطاً بالرايات المزركشة لِفِرَقِ جيشه. عُرض الرجلان علىٰ السلطان متعَبين، ممزَّقي الثياب، يكاد العطش يُهلكُهُم. وكان الخوفُ ظاهراً على وجه الملك، أمّا شاتيون فقد أظهر هدوءًا وتماسُكاً. والتفت السلطان إلىٰ الملك باشّاً طالباً إليه أن يجلس إلىٰ جانبه. أما شاتيون فسارع إلىٰ الجلوس بجانب مليكه. وأشار السلطان برأسه إلىٰ أحد الحُجَّاب فأحضر كأساً مذهَّباً مملوءًا بماء الورد سلَّمه للسلطان الذي أعطاه بدوره للملك غي فتجرعه بسرعةٍ ثم أعطى ثُمالته لشاتيون. وهنا قال السلطان: «لم آذَن لك في سقْيه الماء حتى لا يوجب ذلك أماناً له»[1]. وكانت تلك مسألة تتعلَّق بالشرف. فالعادة الإسلامية أنّ الاسر إذا عرض على أسيره الطعام والماء فهذا يعني أماناً له. وعندها التفت صلاح الدِّين لشاتيون وقال: إشرب، فلن تشربَ ثانيةً! فبعد أن أسر شاتيون القافلةَ الغنية على طريق الحج إلىٰ مكّة، وبعد أن أسر أخت السلطان، وحاولَ الإغارةَ على مكة والمدينة، ونقض عدة معاهداتٍ، اتّبع السلطان بشأنه ليس الرحمة بل العدل. فقد أقسم على أن يقتل هذا الشرير بنفسه. خاطب السلطان شاتيون قائلاً: كم من مرةٍ

(1) عن مفرّج الكروب لابن واصل 2/ 196.

أقسمتَ على الوفاء ثم نقضْتَ العهد؟ وكم من مرةٍ وقّعت اتفاقاً لم تنفّذه؟ وتمتم شاتيون مُجيباً: هكذا تفعل الملوكُ دائماً؛ وما فعلْتُ أكثر مما فعلوا[1]! وتابع صلاح الدِّين: لو أنك أسرتَني كما أسرتُك، يا أمير شاتيون، ماذا كنتَ لتفعل؟ وأجاب شاتيون بصراحة: لو أعانني الله وأسرتُك، لسارعتُ لقطع رأسك! وقال السلطان ساخطاً: خنزير! أنت في يدي، وتجيبُني بهذه الصفاقة؟! وبهزةٍ من يده صرف السلطان الأسيرين، ثم ركب فرسَهُ وراح يستقبل جنوده العائدين من المعركة، ويعيد النظر والتفكير فيما هو مُقبلٌ عليه. وعندما عادَ من دورته تلك، أمر بإحضاء الأسرى مرةً ثانية. وُضع الملك غي في غرفةٍ مُجاورةٍ، وأُحضر شاتيون إلىٰ السلطان بمفرده، ففاجأه بالقول: ها أنا أنتصر لمحمدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلّم[2]! ثم أتاح له فرصةً أخيرةً عندما عرض عليه الإسلام فأبى شاتيون اعتناقه. هكذا أخذ صلاح الدِّين خنجره المعقوف، وضربَ به ذراع الفارس فاصلاً يده عن كتفه. وسارع العبيدُ لقطْع رأسه ووضعه أمام السلطان. ثم جيء بالملك غي وهو يرتعدُ فَرَقاً، وقد وطّن نفسَه على الموت؛ فطمأنه السلطان وقال: «إنّ هذا تجاوزَ حدَّه فجرى عليه ما جرى»[3]. فسارع الملك إلىٰ الركوع أمام السلطان فطلب منه القيام وقال له: «لم تجر عادةُ الملوك أن يقتلوا الملوك». ثم عرض عليه كأساً آخر من الجُلاَّب المثلّج، وكرر قولته: «ما كان شاتيون ملكاً، وقد تجاوز حدَّه».

---

(1) في مفرّج الكروب 2/ 196: «..فقرّعه السلطان وأذكره ذنبه، وقال له: كم تحلف وتنكُث؟ فقال الترجمان عنه: إنه يقول، وقد جرت بذلك عادةُ الملوك!».

(2) يقصد قول ريجنالد (أو أرناط كما يسميه المسلمون) لرجالات القافلة التي سطا عليها عندما طالبوه باطلاق سراحهم طبقاً للمعاهدات: قولوا لمحمدكم يخلصكم! انظر؛ ابن شدّاد، ص 78، وكتاب الروضتين 2/ 81، ومفرّج الكروب 894 (المترجم).

(3) عن ابن شداد في السيرة الصلاحية، 79، وكتاب الروضتين 2/ 81، ومفرّج الكروب 2/ 195. وقارن بأمين معلوف: الحروب الصليبية كما رآها العرب. ترجمه عن الفرنسية عفيف دمشقية، بيروت 1998، ص ص 242/ 244 (المترجم).

ظلّت صيحاتُ «الله أكبر» و«لا إله إلاّ الله» تتردد في ساحة المعركة التي تناثرت فيها الأشلاء، أياماً عدّة. وجُمع الأسرى معاً، مربوطين بالحبال، وسِيرَ بهم باتجاه دمشق. وهناك بيع الجندي الراجل عبداً بثلاثة دنانير، بل إنّ أحدهم قبض ثمن أسيره حذاءً «فقيل له في ذلك، فقال: أردْتُ أن يُذكر ذلك»[1]. أما الفرسان الصليبيّون من الهيكليين والإسبتارية فقد كان ينتظرهم مصيرٌ آخر. فقد كان هؤلاء قلب الدفاع المسيحي، وما كان يمكن زعزعتهم في تصميمهم واعتقادهم؛ كما أنّه ما كان ممكناً لإرادتهم أن تنكسر. ولذلك قال صلاح الدِّين: «المصلحة تطهيرُ الأرض من هذين الجنسين النجسين»[2]. وأعطى خمسين ديناراً لكل من بيده أسيرٌ من هاتين الرهبانيتين العسكريتين؛ وهكذا وباستثناءٍ وحيدٍ في سجلِّه في التسامح والإيثار، أمر بضرب أعناقهم جميعاً. وقد كُلِّف بتنفيذ هذه المهمة تشريفاً لهم علماءُ ونسّاكٌ ومتصوّفة: «. . وكان بحضرته جماعةٌ من أهل الدين والفقه والتصوف، فسأل كلَّ واحدٍ منهم سلَّ سيفه، وقصد أن يقتل منهم قتيلاً. . .» فمن الجماعة مَنْ خارت قوته فامتنع وعُذر، ومنهم مَنْ لم يؤثّر ضربه فضُحك منه. . ومنهم من ظهرت نجابتُهُ، وفَرَتْ ضربتُهُ»[3].

والطريف أنّ جيرار دو ريدفور Gerard de Ridefort مقدم فرسان الهيكل، وأسوأ الجميع على الإطلاق، هو وحده الذي استُثني من القتل رجاءَ أن يكونَ نافعاً في المفاوضة. يقول كاتب عربي عن هذه الإعدامات الجماعية إنّها جرت للقضاء على الكفر ولكي يحيا الإِسلام. فالتوحيد يقضي على

(1) في كتاب الروضتين 2/ 82/ «ويقال، بلغ من هوان أسرى الفرنج وكثرتهم أنْ بيع واحدٌ بنعل».

(2) في كتاب الروضتين 2/ 79: «. . فلما أصبح يوم الاثنين بعد الفتح بيومين، طلب الأسارى من الداوية والإسبتارية، وقال: أنا أُطهِّرُ الأرضَ من هذين الجنسين النجِسين»؛ وقارن بمفرّج الكروب 2/ 196 (المترجم).

(3) عن كتاب الروضتين 2/ 82، ومفرّج الكروب 2/ 189، 191.

الشِرْك! أما كاتبو الحوليات من المسيحيين فذكروا فيما بعد أنّ نوراً سماوياً حانياً انصبّ على أرض الإعدامات بركةً للشهداء.

وفي الوقت نفسه، «أُخذ صليب فعُلِّق على قنطاريّةٍ منكَّساً ودُخل به.. إلىٰ دمشق..»[1]. والواقع أنّ هذا العملَ المُعتبر إهانةً دينيةً، ينظر إليه المسلمون نظرةً أخرى. فهم لا يقصدون من ورائه إهانة المسيح الذي يعتبرونه نبياً كريماً؛ بل إنما يريدون التعبير عن إنكارهم لقصة الصلْب. لقد كان السيد المسيح رجلاً عظيماً، ولم يكن إلهاً، فلا إله إلاَّ الله، ومحمَّدٌ رسولُهُ، وخاتَم أنبيائه. وقد بُعث (بدين الإِسلام) لتصحيح وتوضيح التحريف والتشويه الذي نزل بالمسيحية. لذلك يرفض الإِسلام قصة موت المسيح باعتبارها غير جديرةٍ بالدين المسيحي الصحيح.

(1) عن الفتح القسّي، ص 22، ومفرج الكروب 2/ 196، والكامل لابن الأثير 11/ 203، وكتاب الروضتين 2/ 79.

obeikandl.com